مظاهرها قديمة ورجعية بنظر الطبقة الجديدة فتقضي عليها بالشدة والعنف ، وتطلق الحرية في التفكير من وجهة نظرها . ولنضرب مثلا لذلك .

فني الدور الاقطاعي الذي كان يمثله السلطان عبدالحميد كان الادب سلطاني[1] بل كل مظاهر الحياة الاجتماعية « سلطانية » اقطاعية فلا نجد طابعاً على كتاب ادب ، او اجتماع ، او تاريخ غير هذا الطابع . ولقد بلغ توطيد هذا النظام الاقطاعي الى درجة، ان مجرد ذكر كلمة « ثورة » او « انقلاب » اووجود كتاب فى « الثورة الفرنسية » عند فرد من افراد الجمهور ، كاف ، ومبرر لنفيه او اعدامه لانه يريد ان يشق عصى الطاعة على امير المؤمنين ،والاخلال بالامن العام .

وكانت كل الخطب التى يتلوها رجال الدين على المنابر ، والمواعظ التى يلقيها الوعاظ ، حثاً على اطاعة « السلطان » والدعاء له ببقاء ملكه ،وسلطانه ولكن الطبقة التى كان لها حق الحكم ، والسيادة كانت تعمل فى الخفاء وفي العلانية على تقويض ذلك النظام ؛ ولما حانت الفرصة ، واصبحت الحالة الاقتصادية تتطلب سيادتها ، وسيطرتها ثارت على ذلك النظام فقوضته واعطت الحرية للجمهور ، ولكن حددت الحريه بان لا تتعدى حدود « المشروطية »

وليست هذه الحادثة وحدها في التاريخ ، بل التاريخ ملئ بمثل هذه الحوادث لا محل لذكرها وتعدادها هنا .

فيتضح مما تقدم ان « الحرية » او « الحرية الفكرية » ليست كما يتصورها الناصري غادة هيفاء او بلبل طليق حر . بل هى تحرير طبقة من سيطرة طبقة اخرى تحريرا اقتصاديا . وعند تحريرها تنال ما لم تكن تناله من قبل

(١) وهو الذي يسميه الترك ادب الباب العالي .

معرض الكتب

مكتبة التجديد العلمي الفلسفي فى تركيا

١ — شيء عن حياة نيتشه الفيلسوف الالماني وفلسفته —

كان نيتشه في صغره مغرما بالموسيقى ، مغرما بسماع انغام (باخ) وبيتهوفن و (موزار) ومن اليهم من عظماء الموسيقى الالمانية الاصولية (كلاسيك) وقد الف بضع اغان وهو في التاسعة من عمره وكان بعد ذلك يؤمل ان يكون مؤلفاً موسيقياً . لكنه لم يستطع رغم كثرة مساعيه وجهوده ان يرتفع الى مصاف الموسيقيين البارعين أهل الفن واساتذته . فكف عن المضي لطيته وان كان غرامه بسماع الموسيقى لم يصبه اي فتور .

وكان ينظم الشعر . وقد قصد بين عام ١٨٥٨ و عام ١٨٦٤ كثيراً من القصائد . نشرتها أخت له بين دفتي كتاب كان حظه من الاقبال عادياً . فاما القصائد التي حوى فكانت مفعمة بشعور نيتشه الرقيق . وكان اسلوب نظمها من قبيل السهل الممتنع ، ولم تظهر آراؤه الفلسفية الا بعد عام ١٨٦٤ .

وكان اذ ذاك مضطرباً تتنازعه الشكوك والحيرة .

وفي عام ١٨٧٧ كانت قصائدة جوامع لفلسفته وتوازعه الفكرية الغريبة وكانت تجذب القارئين اليها ، لما فيها من الآراء العصبية ، والنظريات الصادقة ذات الالوان العاطفية الحماسية القوية . وكان يشعر قراؤه اذ ذاك أنه يقطع لهم

من حرية في التفكير ، وفي الاسباب المعيشية ، هذا هو رأينا فى الحرية وسنعود الى طرق هذا الموضوع مرة اخرى عند سنوح الفرصة .

ع . ج

فى تحليلاته الدقيقة ، بل في تحليلاته المادية البحتة قطعاً من نفسه ووجدانه لا من آرائه وافكاره فحسب .

ويخطئ النقاد الذين يشبهون كتابه عن (زردشت) بكتاب (فاوست) للشاعر المبدع (غوته) فانه اكثر من (فادوست) حظاً من الابداع والعبقرية وما فيه من آراء وافكار ارقى من (فاوست) واعلى . وهى تمتاز عنها علوها وبعدها عن الميول البشرية العادية .

ان نيتشه مفكر . وفلسفته هى « المذهب الفردي » Individualism وهو اذ يسألك هذا السؤال : « بماذا يأمرك وجدانك ؟ » يجيبك بهذا الجواب : لتكن كما تشاء » والانسان على رأيه يجب ان يعرف نفسه قبل كل شئ . وعليه بعد ذلك ان يهيئ القاعدة التي ينبغى له ان يستند اليها فى حياته ولتكن هذه القاعدة صدىً لميوله وموحيات غرائزه . فاما القاعدة العامة فمنعدمة . وليس من مساوات في طبائع الانسان . ليخلق كل فرد لنفسه اخلاقه وفضائله وما يكون فضيلة لواحد من الناس يجوز ان يكون رذيلة فى رأي غيره . وماهو حسن عندك رديء عندي والعكس بالعكس . ولذلك لم يعين نيتشه مذهباً معينا وقواعد ثابتة دعى اليها كغيره من المفكرين . بل اطلق العنان لكل أحد كيما يكون مستطيعاً البحث عما يلائمه من الحقائق ، فيعين شخصيته بمقتضاها .

يتجلى ذلك واضحاً فى كتابه « هكذا قال زردشت »

فنيتشه كما ترى يخاطب النفوس وغرائزها دون غيرها وهي عنده فوق المنطق والتعقل وليس للمنطق والتعقل عنده كبير قيمة .

يقول في بعض كتبه : « ايها الاخ ، ان وراء افكارك ومشاعرك لحاكما قادراً ، لعالما مجهولا هو شخصيتك . وهذه الشخصية تحتل جسمها ، وهو جسمك . »

والجسم بغرائزه الطبيعية وقوة ارادته يدفعها الى حيث يشاء .

وهذه هى بعض اسس فلسفة نيتشه . ولكنه كان يخالفها فى اكثر كتاباته . والنقاد المفكرون يجعلونه من اول المتناقضين فى آرائهم وافكارهم. وهذا التناقض نرده الى طبيعته والى تربيته ، والى الحوادث التى حدثت له في حياته . وتنقسم حياته الى ثلاثة ادوار . كان تفكيره وعيشه فى الدور الاول منها غير تفكيره وعيشه في الدور الثانى ، وكذلك الثالث .

فقد كان حتى الثامنة عشرة من عمره متعصبا تسيطر عليه تربيته الابتدائية وهذا هو الدور الاول . فاما الدور الثانى فمن بعد الثامنة عشرة حتى جن وخولط في عقله والدور الثالث هو دور تردیه ومرضه واضمحلاله .

وكان الرجل مستقيما بطبيعته ، ومغروراً ، وذا جرأة . فاما كبرياؤه وغروره فمنشأهما اعتزازه بشرف أسرته . واما استقامته وصراحته فقد أثارا من نفسه عواطف كره شديد للرياء . ومن هنا نشأت جرأته وميله الى الحملة على الناس . ولذلك قضى حياته فى جدال مستديم . والارجح ان الميزات والخصال والسجايا الموروثة له من آبائه واجداده كانت العامل الاول فى تكوين اخلاقه وعاداته وآرائه وافكاره

— م . أ —

∴

* « قيل لابن المقفع من ادبك ؟ فقال نفسى ؛ اذا رأيت من غيري حسناً اتيته ، واذا رأيت قبيحاً ابيته .